

الصورة البلاغية وآلياتها في المدائح النبوية عند عبد السلام الحمدي

The rhetorical image and its mechanisms in prophetic praise

At Abdul Salam Al-Muhammadi

الباحث برهم حسن عبدالله الجمور

اللغة العربية و آدابها/ جامعة رازي

researcher

Barham Hassan Abdullah Al-Jamor

Arabic language and its literature/ Razi University

barhamhassanabdullah@gmail.com

دكتور. مجيد محمدي

أستاذ المشارك في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة "رازي"، كرمانشاه، إيران

doctor. Majeed Mohammadi

Associate Professor in the Department of Arabic Language and Literature,

Razi University, Kermanshah, Iran

mohammadimajid44@gmail.com

دكتورة مريم رحمتي:

أستاذة مساعدة في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة "رازي"، كرمانشاه، إيران

:Dr. Maryam Rahmati

Assistant Professor in the Department of Arabic Language and Literature,

Razi University, Kermanshah, Iran

rahmatimaryam88@gmail.com

ملخص:

حظيت الصورة البلاغية بمكانة مميّزة في الشعر العربيّ ، فالصورة كانت وما زالت سبيل الشاعر للتعبير عن مكونات الذات و سيل العواطف و المشاعر التي تستكين في الوجدان و المدائح النبويّ إحدى الفنون الشعريّة التي أثّرت في الوجدان الإنسانيّ و جذبت المتلقي إليها كونها انعكاسٌ للسيرة النبويّة الشريفة بكلّ تفصيلاتها ، و سنحاول في هذا البحث إلقاء الضوء على الصورة البلاغية في المدائح النبويّة في شعر عبد السلام الحمديّ ، و طريقة توظيف الشاعر للصورة بما يخدم الغايات الموضوعيّة للنص ، و يبرز مشاعر الشاعر و إحساسه بكلّ ما يتعلق بمسيرة النبي محمد ﷺ ، و لا سيما أنّ اللغة الشعريّة في المدائح النبويّة تتميز بالرقّة و السهولة و الصدقو سوف يبدأ البحث بالحديث عن الصورة و تعريفها في اللغة و الاصطلاح و إلقاء الضوء على أهميّة الصورة و الدور الذي تلعبه في إبراز تطور التجربة الشعريّة للشاعر ، ثمّ الحديث عن البلاغة و تعريفاتها المختلفة ، و فضلاً عن ذلك يتضمّن البحث الحديث عن حياة الشاعر و تجربته الشعريّة و أهم المجموعات الشعريّة التي أصدرها ، و إلقاء الضوء على المدائح النبويّة و أهم الموضوعات التي تناولتها المدائح النبويّة كالحديث عن حياة الرسول و صفاته الخلقية و الخلقية ، و المعجزات التي قام الرسول بها ، ثمّ ينتقل الباحث بعد ذلك إلى الدراسة الفنيّة لشعر المدائح لدى الشاعر عبد السلام الحمديّ ، و إبراز أهمّ الصور البلاغية في مدائحه ، و تناولها بالشرح العميق و الدقيق لآليات هذه الصور ، و المقدرة العاطفية التي

حملتها هذه الصور في طياتها ، و ينتهي البحث بالحديث عن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث بعد دراسة الصورة البلاغية و تجلياتها في المدائح النبوية في شعر عبد السلام المحمدي ، و في الختام تأتي قائمة المصادر المراجع التي اعتمدها الباحث في دراسته المتواضعة.

منهج البحث

المنهج الأساس الذي اعتمده الباحث في هذه الدراسة هو المنهج التحليلي الوصفي من خلال دراسة الصورة البلاغية في المدائح النبوية ، و ربط الصورة بالفكرة و الحال الشعورية للشاعر لتكوين رؤية شاملة تتصهر فيها العوامل جميعها في دلالة واحدة تساعد على جلاء الموقف و توضيحه للمتلقي .

أهداف البحث

يهدف الباحث في هذه الدراسة إلى دراسة الصورة البلاغية في المدائح النبوية للشاعر عبد السلام المحمدي ، و تأثير الصورة في تناول المعنى العام للقصيدة و الإضاءة على المسيرة النبوية الشريفة من خلال الصورة البلاغية التي تساعد على جلاء المعنى و جعله أكثر وضوحاً .

الكلمات المفتاحية : الصورة ، البلاغية ، المدائح النبوية ، عبد السلام المحمدي

Abstract

The rhetorical image has enjoyed a special place in Arabic poetry. The image was and still is the poet's way of expressing the inner self and the torrent of emotions and feelings that reside in the conscience and the praises of the Prophet. It is one of the poetic arts that influenced the human conscience and attracted the recipient to it as it is a reflection of the honorable biography of the Prophet in all its entirety. Its details, and in this research we will try to shed light on the rhetorical image in the prophetic praises in the poetry of Abd al-Salam al-Muhammadi, and the way the poet uses the image in a way that serves the objective goals of the text. It highlights the poet's feelings and sense of everything related to the path of the Prophet Muhammad, peace and blessings be upon him, especially since the poetic language in praises of the Prophet is characterized by delicacy, ease, and honesty. The research will begin by talking about the image and defining it in language and terminology, and shedding light on the importance of the image and its role. Which it plays in highlighting the development of the poet's poetic experience, then talking about rhetoric and its various definitions. In addition to that, the research includes talking about the poet's life, his poetic experience, and the most important collections of poetry that he published, and shedding light on the prophetic praises and the most important topics covered by the prophetic praises. Such as talking about the life of the Messenger, his moral and moral qualities, and the miracles that the Messenger performed,. The researcher then moves on to the technical study of the poetry of praise by the poet Abdul Salam Al-Muhammadi, highlighting the most important rhetorical images in his praises, and dealing with them with a deep and precise explanation of the mechanisms of these images, and the emotional capacity that these images carry within them, and the research ends by talking about the most important The results reached by the researcher after studying the rhetorical image and its manifestations in the prophetic praises in the poetry of Abd al-Salam al-Muhammadi, and in conclusion comes a list of sources and references that the researcher adopted in his modest study.

Research Methodology

The basic method adopted by the researcher in this study is the descriptive analytical method by studying the rhetorical image in prophetic praises, and linking the image to the idea and emotional state of the poet to form a comprehensive vision in which all the factors fuse into a single meaning that helps clarify the situation and explain it to the recipient.

research aims

The researcher aims in this study to study the rhetorical image in the prophetic praises of the poet Abd al-Salam al-Muhammadi, and the effect of the image in addressing the general meaning of the poem and illuminating the honorable prophetic journey through the rhetorical image that helps clarify the meaning and make it clearer.

Keywords: image, rhetoric, praise of the Prophet, Abd al-Salam al-Muhammadi

مقدمة

أخذت الصورة البلاغية مكانة هامة في الدراسات الأدبية و النقدية و اللغوية ، و يعود ذلك إلى كون الصورة جوهر الأدب و بؤرته الفنية و الجمالية ، و تعدّ الصورة البلاغية واحدة من أبرز الأدوات التي يستخدمها الشعراء في بناء قصائدهم و تجسيد أحاسيسهم و مشاعرهم ، فضلاً عن أنّ الصورة هي وسيلتهم للتعبير عن أفكارهم و تصوراتهم للإنسانية و الكون و الحياة ، و قد احتقى الشعراء و النقاد بالصورة

البلاغية احتفاءً كبيراً ، واهتموا بطريقة تشكيلها وبنائها وآلياتها و بطبيعة العلاقة القائمة بين عناصرها المختلفة ، فعدت ملمحاً مهماً في النصوص الشعرية و علامة فارقة تبرز تطور الشعر العربي و تقدّمه و مواكبته لتغيّرات العصر و متطلّباته و احتياجاته و ذلك نتيجة لاختلاف طبيعة الخيال ، و اختلاف الأسلوب ، و طرق التعبير و الموضوعات ، فكان الشاعر يحاول توظيف الصورة البلاغية بما يخدم الموضوع و الأفكار التي يريد التعبير عنها ، و توظيف الآليات المناسبة كي تستطيع الصورة البلاغية التعبير عن المقصد الذي يرمي الشاعر إليه أحسن تعبير .

الصورة لغة و اصطلاحاً

تعطي الصورة العمل الأدبي رونقاً و جاذبية تجعل المتلقّي ينجذب إليه ، فالصورة تلهب المتلقّي بمشاعر جمّة تنقله من عالم الواقع الرتيب إلى عالم الخيال ، و هذا ما يجعل الصورة ركيزة أساساً في العمل الأدبي .
الصورة لغة :

يقول ابن منظور في لسان العرب " هي الشكل ، و الصورة في كلام العرب ترد على ظاهرها و على معنى حقيقة الشيء و هيئته و على معنى صفته ، يقول صورة الفعل كذا و كذا أي هيئته و صورة الأمر كذا أي صفته " (١)
و يقول ابن فارس " صورة كلّ مخلوق و الجمع صور ، و هي هيئة خلقته ، و الله تعالى البارئ المصور " (٢)
و جاء في الصحاح " تصوّرت الشيء : توهمت صورته ، فتصوّر لي ، و التصاویر : التماثيل " (٣)
الصورة اصطلاحاً :

وجد اللغويون و النقاد و البلاغيون صعوبة في إيجاد تعريف جامع لمصطلح الصورة ، و يعود ذلك إلى تعدّد التراكم الوصفية لمصطلح الصورة ، فنجد الصورة البلاغية ، و الصورة الفنية و الصورة الأدبية و البيانية و الشعرية و غير ذلك من التراكم الإضافية التي قيلت في الصورة فيقول الجاحظ " إنّما الشعر صناعة و ضرب من النسيج و التصوير " (٤) و هي عبارة تقدّم للقارئ مصطلحاً مهماً و هو التصوير و هو أسلوب يثير المتلقّي ، و أمّا الجرجاني فيقول " و معلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير و الصناعة ، و أنّ سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع في التصوير و الصوغ فيه " (٥) و بنى على ذلك نظريته المشهورة و المسماة نظرية النظم و قضية الإعجاز . و يرى القرطاجني الصورة " أنّها تصوير الأشياء الحاصلة في الوجود و تمثيلها في الأذهان على ما هي عليه خارج الأذهان من حسنٍ أو قبح ، أو غير ما هي عليه تمويهاً و إيهاماً " (٦) و للصورة البلاغية عند المحدثين تعريفات عديدة ومنها " تركيب لغويّ لتصوير عقليّ و عاطفيّ متخيّل لعلاقة بين شيئين ، يمكن تصويرها بأساليب عدّة إمّا عن طريق المشابهة أو التجسيد أو التشخيص أو التجريد أو التراسل " (٧) و الصورة " هي رسم بالكلمات و تجسيداً لأحاسيس الشاعر و أفكاره المجردة بشكلٍ حسيّ ، و الخيال عنصر مهمّ من عناصر انتاجها ، و أنّها كما تعتمد المجاز و غيره من مقومات البلاغة العربية التشبيه و الاستعارة و الكناية و التقديم و التأخير ، يمكن أن تعتمد الوصف الحسيّ لكي توصل إلى خيالنا شيئاً يتجاوز الحقيقة الخارجية للأشياء ، و ذلك من خلال اعتمادها على طاقات اللغة و اشعاعاتها الوجدانية لتجسيد عاطفة الشاعر و فكرته في ألفاظ ذات دلالة حقيقية " (٨)

و ممّا تجدر الإشارة إليه أنّ مفهوم الصورة شهد تطوراً كبيراً إذ بدأت الصورة البلاغية في العصر الحديث تبتعد عن الدلالات التقليدية المتمثلة في التشبيه و الاستعارة و الكناية ، لترسم أفقاً أوسع من الدلالة يمنح النص الأدبي بعداً و مساحة من الخيال تسمح للمتلقّي أن يعمل عقله في ما يسمع و يقرأ من تراكم و صور .

أهمية الصورة البلاغية

حظيت الصورة البلاغية بمكانة بارزة في الدراسات الأدبية و البلاغية ممّا أدّى إلى النظر إلى الشعر على أنّه " التفكير بواسطة الصورة " (٩) فسادت النظرة إلى الصورة على أنّها معادلة للشعر ، و قيل نتيجة ذلك " إنّ ممّا يساعد على أن يكون الشاعر شاعراً هو قدرته التي تفوق قدرة غيره على إدراك المشابهات الخفية ، و الكشف عن تماثل الأشياء بواسطة الصورة " (١٠) و فضلاً عن ذلك فإنّ الصورة تلعب دوراً مهماً في بناء الشعر " فالصورة تبقى أدواته الأولى و الأساسية ، و تفرّق عصرًا عن عصر ، و تياراً عن تيار ، و شاعراً عن شاعر ، و تظهر أصالة الخالق و تدلّ على قيمته ، و ترمز إلى عبقريته و شخصيته ، بل و تحمل خصوصيته و فرديته لأنّها الأداة الوحيدة التي ينقل بها تجربته ، و لا يمكن أن يستعيرها من سواه " (١١) و تكمن أهمية الصورة البلاغية في أنّها لا تصوّر المعطيات الحسية التي يجربها الشاعر بل أنّها تتعدّى إلى تصوير انفعالاته و مشاعره الداخلية ، و فضلاً عن ذلك تتميز بابتعادها عن الأداء المباشر لتسلك سبيل الإيحاء للتعبير

عن الفكرة ، و التركيز عليها ، و إحداث التأثير المطلوب في ذهن المتلقي . و لعل أبرز الأمور التي تعطي الصورة البلاغية أهميتها إحداث المتعة للقارئ بجانب و المعنى و التأثير الذي تحدثه فيه ، و في ذلك يقول جابر عصفور " تكمن أهميتها في الطريقة التي تفرض بها علينا نوعاً من الانتباه للمعنى الذي تعرضه في الطريقة التي تجعلنا نتفاعل مع ذلك المعنى و نتأثر به ، إنها لا تشغل الانتباه لذاتها إلا لأنها تريد أن تلفت انتباهنا إلى المعنى الذي تعرضه وتفاجأنا بطريقتها في تقديمه " (١٢) و بقدر ما يبدع الشاعر في رسم العلاقات و الربط بين عناصر الصورة تتحدد المتعة الذهنية التي تدخلها الصورة إلى ذهن المتلقي ، و من هنا تبرز قيمة الصورة و أهميتها بمقدار الأثر الذي تحدثه بالوجدان ، و القدرة على جلاء المعنى و رسوخه رسوخاً كبيراً في تفكير المتلقي . و لعل الشاعر عبد السلام المحمدي سعى إلى توظيف الصورة البلاغية في قصائد المديح النبوي فلم تكن صورته مجرد لباس أنيق يزين به التراكم الشعري ، و إنما كانت صورته مستوحاة من حقائق ينبض بها الوجدان ، مستوحاة من إحساس داخلي عميق و إعجاب أصيل صادق بالفكر المحمدي و رسالته العظيمة للإنسانية ، فكانت صورته ميداناً يعبر فيه عن إحساسه و شعره الصادق ، و إيمانه العميق ، صوراً تحمل طاقات إبداعية قادرة على التأثير في المتلقي ، و ترسم صورة النبوة في أبهى معانيها ، و تجلياتها في الوجدان الإنساني .

البلاغة لغة و اصطلاحاً

تعددت تعريفات البلاغة في الفكر العربي بين اللغة و الاصطلاح .

البلاغة لغة : يقول ابن فارس " الباء و اللام و الغين أصل واحد صحيح و هو الوصول ، تقول بلغت المكان إذا وصلت إليه ، و قد تسمى المشاركة بلوغاً بحق المقاربة ، و البلغة : ما تبلغ به من عيش و البلاغة التي يمدح بها الفصيح اللسان لأنه يبلغ بها ما يريد " (١٣) و جاء في الصحاح " بلغت المكان بلوغاً ، وصلت إليه ، و كذلك إذا شارفت عليه ، و الإبلاغ الإيصال ، و كذلك التبليغ و الاسم منه البلاغ " (١٤) و يقول ابن منظور " بلغ الشيء يبلغ بلوغاً و بلاغاً : وصل و انتهى ، و أبلغه إبلاغاً ، و بلغه تبليغاً ، و البلاغ : ما يتبلغ به و يتوصل به إلى الشيء المطلوب ، و بلغ الغلام : احتلم ، كأنه بلغ وقت الكتاب عليه و التكليف ، و بلغت البنت انتهى ، و البلاغة : الفصاحة ، و رجلٌ بليغٌ ، و بلغ أي حسن الكلام فصيح ، يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه و الجمع بلغاء " (١٥) مما سبق نجد أنّ الوصول أصلٌ بارزٌ في البلوغ إلا أنه ينبغي ألا يحجب الأنظار عما يحمله في طياته من بذور التفوق و التفضيل في كل ما ورد في المعاجم اللغوية .

البلاغة اصطلاحاً

تعددت تعريفات البلاغة في الاصطلاح ، فيقول الجاحظ " إصابة عين المعنى بالكلام الموجز فلا تفلّ المحز و يصيب المفصل ، و أخذوا ذلك من صفة الجزر الحاذق ، فجعلوه مثلاً للمصيب الموجز " (١٦) و يقول أيضاً " البلاغة أن يكون الاسم يحيط بمعناك و يجلي عن مغزلك ، و تخرجه عن الشركة ، و ألا تستعين عليه بالفكرة و الذي لا بد له منه أن يكون سليماً من التكلّف ، بعيداً عن الصنعة بريئاً من التعقيد ، غنياً عن التأويل " (١٧) و يقول أي هلال العسكري " البلاغة تفسير عسير الحكمة بأقرب الألفاظ " (١٨) و يقول السكاكي " و هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدّاً له اختصاص بتوفية خواص التراكم حَقّاً ، و إيراد التشبيه و المجاز و الكناية على وجوهها " (١٩) و بهذا فإنّ البلاغة تعني الوصول و الانتهاء إلى المعنى الذي يريد الشاعر إيصاله للمتلقي و تيسير فهمه له ، و رسوخه في وجدانه بأسهل السبل و أرقها .

المدائح النبوية تحتلّ المدائح النبوية مكاناً مشرقاً في الشعر العربي ، و هي تلك المدائح التي صفت من الأغراض الدنيوية ، و اكتست رداء الصدق ، إذ كان حبّ سيد الخلق ﷺ هو الدافع ، فاختلفت بذلك عن غيرها من المدائح التي كانت الأغراض الدنيوية دافعها الأول .

و قد حفلت دواوين الشعراء بمدح الرسول الكريم ﷺ و الإشادة برسائله العالمية فضلاً عن ذلك تحدّث الشعراء عن معجزاته ، و وصفوا جماله الخلفي كما توسّلوا إلى النبي بأساليب الرجاء لنيل الشفاعة في الآخرة ، فضلاً عن ذلك تحدّث الشعراء عن القيم الأخلاقية و الإنسانية التي أوصى النبي بها أتباعه ، فكان النبي محمد ﷺ منار الهدى للناس ، يهديهم و يصوّب خطاهم إلى طريق الحقّ و الصواب ، و طريق الأخلاق التي رسمها الله لنا في القرآن الكريم ، فكانت المدائح النبوية ميداناً واسعاً حاول الشعراء من خلالها الإضاءة على المسيرة المحمدية و ما حملته للبشرية جمعاء . و لعلّ أهم ما يميز قصائد المديح النبوية الصدق الفني القائم على تجربة شعرية صادقة كونها تنطلق من انفعالٍ نفسي عميق بمفردات التجربة الشعورية التي يحسّها الشاعر تجاه الممدوح الأعظم و الأكمل بين الناس جميعاً ، و هو الرسول الكريم ﷺ خاتم الأنبياء و المرسلين ، و تتأى عن التكلّف و الافتعال ، لأنها تتباعد عن التكبّث بالشعر و لا يُرجى من ورائها مغنمٌ ، فضلاً عن اللغة الشعرية التي يستخدمها الشعراء في المدائح النبوية التي تتسم بالسهولة و البساطة و المباشرة بعيداً عن التعقيد ، مما يجعل المدائح قريبة من وجدان المتلقي

و ذهنه . و لعلّ الشاعر عبد السلام المحمّدي استطاع بمدائحه النبويّة في مجموعاته الشعريّة أن يرسم صورة ناصعة تعبّر عن محبته الكبيرة للنبيّ ، و الشوق الكبير إليه ، و التوسل به لطلب الشفاعة من الله ، فهو ملجأ كلّ مؤمنٍ في الحياة ، موظّفاً الصورة البلاغيّة للتعبير عن طاقاته الإبداعية في قصائد الميخ النبويّ.

حياة الشاعر عبد السلام المحمّدي :

هو عبدالسلام حسين المحمدي عربي القومية عراقي الوطن من مواليد ١٩٥٩م من عشيرته المحامدة من عشائر الدليم ، أبوه فلاح في قرية (الطالعة) من قرى الصقلاوية قرب الفلوجة. درس في مدرسة مدرسة العرفان الابتدائية وحصل على تقدير علميه و إعجابهم حيث بدأ توجهه الأدبي من خلال المشاركة في التجمّع الأسبوعي للتلاميذ. و كان الشاعر مهتماً بقرأة كتب الأدب وغيرها من الكتب التاريخية والدينية ، كل هذا وكان في الثانية عشر من العمر وكان يقرأ قصائد الشعراء الكبار على التلاميذ. وكان الشاعر يستمع الى قصائد المدائح النبوية في المناسبات الدينية ويهتم بالأهازيج الشعبية والدينية ويستمتع الى الموسيقى والمقام. وعندما انتقل الى الفلوجة ليكمل دراسته الثانوية تعرف على أدباء كثيرين مثل الشاعر علاء المعاضيدي رحمه الله والدكتور تحرير رياض وآخرين ومشاركته في مهرجانات المحافظة في فترة كانت الأجمل وكانت الأماسي الادبية في البيوت والمقاهي .كانت الفلوجة قد أتاحت للشاعر مكتبتها العامة واستطاع التواصل مع أدباء المنطقة الغربية وبغداد فكانت قصائده في مدح النبي ونشرها في ذلك الوقت في النشرات المدرسية وفي زمن الدكتاتورية السياسية اكتشف أن عليه أن يكتب في مواضيع لم يكن راغبا فيها فاعتزل المنصة الرسمية وبدأ يكتب لنفسه فقط في زمن كان الصراع السياسي والحروب تفرض منبرها على شعراء السلطة .وفي عام ١٩٧٨م أنهى دراسته الثانوية ودخل معهد إعداد المعلمين في بغداد والنقى بشعراء محترمين وآخرين سلكوا طريق المداينة أو التكبّ أو صعاليك نهجوا نهج أبي نواس .و كان الشاعر يتردّد إلى شارع المتنبي ومقهى الشهبندر فله ذكريات كثيرة ، وقد اشترى آلاف الكتب في مختلف العلوم والآداب ، حاول أن يجمع قصائده متخوفاً من الظهور الثقافي لأنه رافض للواقع الذي فرض عليه أن يكون خائفاً.بعد التخرج عُيّن معلماً في قرى (أبو غريب) النائية غرب بغداد وما بين الحين والآخر يلقي قصيدة دينية هناك والناس من حرب الى حرب وماهي إلا سنوات وتحترق مكتبته ومخطوطات أشعاره بصاروخ أمريكي جعل بيته أنقاضا متناثرة ، وقد ضاعت جهوده في زمن لا يوجد فيه الإنترنت أو الحاسوب للتوثيق كما نحن اليوم.

مجموعاته الشعريّة

للشاعر العديد من الإصدارات الشعريّة و منها : رقصات على جبين الشمس ، مواويل العاشقين ، مفاتيح العروض ، عرائس المهجر ، غابات الصفصاف، أناشيد الطفولة و غيرها من الإصدارات .وكان اصداره الاول هو مجموعته الشعريّة عنوانها (رقصات على جبين الشمس) وكانت قصائده فيها انسانية التوجه وبعد ذلك اصدر مجموعة شعرية عنوانها (مواويل العاشقين) تلك المواويل الصوفية النبرة ولأن الشاعر كان مهتماً بأصول الشعر فأصدر موجزا في العروض الرقمي عنوانه (مفاتيح العروض) على شكل جداول تسهيلاً للمبتدئين اعتمد بذلك التقطيع الصوتي للتفعيلات بعيداً عن المصطلحات الصعبة التي تعيق الفهم عند الطلبة وبعد ذلك صدرت له مجموعة اخرى تحت عنوان (عرائس المهجر) فيها قصائد الهجرة عن الديار بسبب تركهم المنازل في فترة الظلام الداعشي الذي أرهب الناس . ومن ثم طبع مجموعته الشعريّة تحت عنوان (غابات الصفصاف) وفيها يتحدث الشاعر فيها عن طبيعة الاشياء مستمعاً لما تقوله الطبيعة عن نفسها ، أمّا عن اصداره الاخر (أناشيد الطفولة) فقد كتبه للأطفال بكلماته البسيطة الإيقاعية ذات المنهج التربوي والداعية الى حب الوطن بأسلوب جميل .

و المدائح النبويّة كانت حاضرة في دواوين الشاعر عبدالسلام فكتب العديد من القصائد التي تتحدث عن المدائح النبوية بأسلوب جميل عنوانه الرقة و العذوبة و الصدق ، و من هذه القصائد { أنوارٌ مُحمّدية ، هالة النور ، كرامة لمحمد ﷺ ، عشق النبي } و سوف نسعى إلى دراسة الصورة البلاغيّة في قصائد المديح النبوي عند الشاعر ، و بيان جوانب الجمال فيها ، و التأثير الكبير الذي سعى الشاعر لإبرازه من خلال توظيف الصورة و آلياته في نصه الشعريّ .

الصورة البلاغيّة

تعدّ الصورة البلاغيّة رافداً من أهم الروافد الإبداعية الفنيّة في الشعر العربيّ ، فالصورة هي التي تحكي مخيلة الشاعر ، فلا يمكن لأيّ شاعرٍ أن ينسج تجربته الشعوريّ إلا بحضور الصورة التي تجعل أذن المتلقّي و بصره ينشدان إليها ، فالصورة هي جوهر الإبداع الشعريّ بكلّ تفاصيله

هو من الأساليب البيانية التي تقوم عليها الصورة و هو من أقدم وسائل الخيال و أقربها إلى الفهم و الأذهان، ويعرفه ابن رشيق " صفة الشيء بما قاربه و شاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع الجهات ، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إيّاه " (٢٠) و التشبيه من الفنون البلاغية التي تدلّ على سعة الخيال و جمال التصوير ، و يزيد المعنى قوّة و وضوحاً ، و التشبيه ركن أساس من أركان الصورة البلاغية في أي عمل أدبي ، و قد استعان شاعرنا بالتشبيه في مدائحه النبوية محاولاً من خلال هذه الصور رسم ملامح الحبّ و الوفاء و فيض الوجدان لخير خلق الله محمد ﷺ . و قد تنوعت التشبيهات التي ساقها الشاعر لنا في أشعاره ، فنجد تارة يعتمد التشبيه التقليدي و أنواعه المتعددة كالتشبيه التام ، و البليغ و المرسل إلخ ، و تارة ينحو منحى التشبيه التمثيلي لعلّه يستطيع رسم صورة أوسع أفقاً ، و أكثر تأثيراً في وجدان المتلقّي . و قد كان الشاعر شديد الحبّ للنبيّ الكريم ﷺ و هذا ما جعله يبدع في رسم صور و إن كانت تقليدية إلا أنّ نبع الشوق و الوفاء يفيض غزيراً من هذه الصور ، فيقول في وصف الرسول :

" املاً فؤادك بالمحبة واستق

إنا على ذكر الأحبّة نلتقي

يا جنّة الفردوس أحمد قادم فتزنيّ لقدمه وتأنقي

فهو الذي ملأ الوجود لطافة

ببهائه وبنوره المتدقّق

فيه الملاحه و الفصاحة جُمعت وهو الكمال مع الجمال المطلق

يا روح هذ الأرض والنفس الذي

لولاه أنفاس الوري لم تُخلق

أنت المحيط لذي الشواطئ كلها إنّ اللآلئ في المحيط الأعمق " (٢١)

يقدم الشاعر لنا في هذه الأبيات الشعرية سمفونية تعبّر عن العشق الكبير الذي يكنّه للنبيّ الكريم ﷺ ، و يعتمد الشاعر لغة شعرية بسيطة قريبة من ذهن المتلقّي إلا أنّ هذه اللغة تفيض بالدلالات و الإيحاءات التي توصل إلى مصب واحد و هو الرغبة الشديدة و العشق الكبير و الشوق المنقطع النظير للقاء النبيّ الكريم ، و المعجم الشعري الذي اعتمده الشاعر يعبر عن ذلك (المحبة ، ذكر ، الأحبّة ، نلتقي ، تزني ، تأنقي ، لطافة ، نور ، بهائه ، الملاحه ، الفصاحة) و هذا التكثيف الذي اعتمده الشاعر يهدف إلى التأثير في المتلقّي و امتلاك وجداني ، فضلاً عن ذلك له ما يبرّر و التشبيه الذي أتى به الشاعر يبرّر كل ما سبق في هذا المعجم الشعري (أنت المحيط) لكلّ الشواطئ بكل ما تضمّه في أعماقها من كنوز ، فكانت هذه الصورة التقليديّة القائمة على المشبه و المشبّه به إجازاً يحمل في طياته الكثير من الدلالات و المعاني ، فالنبيّ الكريم حمل للإنسانية القيم و الأخلاق ، رسم طريق العدل و المساواة للإنسانية ، و أقام ميزان العدل ، فنشبهه النبيّ بالمحيط تعبيراً عن عظم المكانة التي يحتلها النبي ﷺ ، و المهمة العظيمة التي أرسل لأجلها للبشرية ، فاستطاع الشاعر بهذا التشبيه توليد شحنة عاطفية صادقة ، و إبراز شعوره ، و لعلّ من أهم الوظائف التي ترمي إليها الصورة البلاغية في الشعر .

و يستمرّ الشاعر في رسم تلك الصورة البهية الطالعة من أنوار النبيّ الكريم ﷺ ، فيقول في قصيدته التي تحمل عنوان (أنوار محمدية)

" دعني آتية بغربتي وهيامي

فالقلب قلبي والسهام سهامي

ياصاحبي طفّ بي منازل أحمدٍ نطوي الزمان بوقعه المترامي

حتى إذا انبلج الصباح تفتحت

عين الوجود بوجهها البسام

ألقّ يفيض بنوره متجسداً وبشائر مرفوعة الاعلام

هو رحمة وهداية ومحبة

هو رقة بيريقيها المتسامي

ومحمد أصل العلوم لانه لوخ الاله ومحبر الاقلام

ما إن تلفتت عاشقٌ حتى يراه
حقيقةً لا رؤية الأحلام
لولاه ما فاح الأريج بروضةٍ والأقحوان مُفتح الأكمام
لولاه ما صدحت قريحة شاعر
رغم الطغاة ولومة اللوام
وبذكرة رئة الزمان تنفست لتنت عطراً طيب الأنسام
طاقت به الأفلاك وأنجذبت له
كالواحة الخضراء في الآكام " (٢٢)

شبه الشاعر النبي بالرحمة والهداية والمحبة والرقة ، فكانت هذه الصورة من التشبيه البليغ تعبيراً عن فيض صفات طالما عُرف النبي بها وكلّ نبي من قبله ، يحاول الشاعر في هذه الصورة الغوص في أعماق النفس الإنسانية ، وإحداث تأثير نفسيّ وشعوري لدى المتلقّي بنقله من الحال الحسية إلى الحال المعنوية أو الذهنية ، فالنبي الكريم إنسانٌ إلا أنه في داخله مدرسة قيم وأخلاق تحتاجها الإنسانية لتكون إنسانيته قولاً و فعلاً ، فالنبي الكريم جاء ليخلص الناس من الظلم والعبودية ، جاء ليساوي بين الناس فلا فضل لعربيّ على أعجمي ، ولا فضل لسيدٍ على عبد ، فكلّ الناس سواسية أمام الله ، وميزان الإيمان هو الحكم بينهم ، فالتشبيه هنا ما هو إلا شرح لفحوى الرسالة النبوية الشريفة التي يحملها محمد ﷺ ، ومن هنا نجد قول الشاعر (محمد أصل العلوم ، لوح الإله ، محبر الأقلام) فالقران الكريم هو ميزان العدل والقيم في الحياة فيه كلّ شيء ، ويحيط بكل الحياة الإنسانية ومدركاتها ، ومن يحمل الكتاب يعرف ما يضمّه الكتاب وما يقدمه الكتاب ، ونجد الشاعر يكثف المعاني والتراكيب في شرح صورته (لوح الإله محبر الأقلام) فما جاء بعد الصورة من تراكيب يعطي دلالة واضحة عن عظم مكانة النبي والمهمة الموكلة إليه ، فهو خاتم الأنبياء ، وعلى هديه ستسير البشرية ، واعتمد الشاعر آلية التكرار في ترسيخ دلالة الصورة (لولاه ما فاح ، لولاه ما صدحت) وشاعرنا لم يعتمد الصورة التقليدية فقط في شعره للتعبير عن احساسه ومشاعره وقناعاته تجاه خاتم الأنبياء والرسول السيد محمد ﷺ فنجد في تشبيهات أخرى يذهب تجاه التشبيه التمثيلي والصور المركبة المؤلفة من مجموعة من التشبيهات والاستعارات والكنائيات ليرسم صورة كلية متجانسة تنبض بحبّ النبي الكريم ، فيقول :

" ماذا أقول وأيّ شيءٍ أبتدي
وهجّ النوى لايسعفن مرامي
فعبارة ترنو بصوت حروفها وعبارة أخرى بغير كلام
أيني وأينك يا حبيب وأيننا
لم يبق إلا مهجتي وخطامي
لم يبق إلا أن أجنّ بحبّه أو أن يطول على الديار مُقامي
فهو الكتاب بنوره وسطوره
وهو المحمّد ماجق الأوهام
وبشاشة لما تعقّ خمزها بكووسها دارت على الأيام
وكأنما نبض الدفوف ووقعها
نغم المفوه في صدى الأنغام
وتتبه في حبّ الحبيب كأنها موجّ يصارع وجهتي وگرامي
ومحمّد قلّ ما نشاء بوصفه
روح القلوب ومنبع الإلهام " (٢٣)

تعثرت لغة الشاعر وعجزت عن التعبير عن حبّ النبي ، فالبعد الذي يعيشه الشاعر عن النبي أتعبه ، والشوق إليه كبير ، وتارة الكلام يعبر وتارة الصمت ، والضياح عنوان حياته ببعده عن النبي ﷺ ، وينوع الشاعر في الصورة في هذا المقطع ، فتراه يستعين تارة بالصورة الاستعارية وتارة بالتشبيه ، لقد حاول الشاعر أن يجمع هذه الصور المتناثرة في السطور الشعرية ليرسم صورة تمثيلية تتجلى في الشوق و

التعلق و الجنون بمحبة النبي ﷺ و الهيام به ، و لعل قمة الصور و أجلها قوله (هو الكتاب بنوره و سطوره) الكتاب الذي جمع قصص الأنبياء السابقين ، و حكايا الأقسام السابقة ، و حمل الموعظة و الحكمة و النصيحة و الخير ، في هذا الكتاب قوانين الكون قوانين الشمس و القمر و الليل و النهار ، فكل ما يقال عن محمد لا يكفيه حقه (فقل ما تشاء بوصفه) فهو أجل و أسمى و أعظم من أي وصف ، إنه الكتاب بكل ما حمل .

لقد استطاع الشاعر من خلال استعمال التشبيه إبراز الشائل التي ميز الله بها نبيه محمد ﷺ عن بقية خلقه ، و الخصال التي خصه بها ، و بيان فضله و جلال هيئته على الرغم من طبيعته البشرية ، فالشاعر يمدح النبي ، و يعطي حقيقة دينية لصفاته ، فهو أفضل الخلق و سيد الأنبياء و المرسلين .

الاستعارة :

الاستعارة هي أداة من أدوات الشاعر التي تساعده في خلق الإبداع الشعري والتفنن في الألفاظ و المعاني ، فضلاً عن ذلك هي وسيلة الشاعر لأجل التأثير في المتلقي ، فأهمية الاستعارة في الشعر تتلخص في أنها تساعد الشاعر " للتعبير عن المشاعر و الأحاسيس والانفعالات حين تعجز اللغة العادية عن التعبير عن ذلك و بهذا الفهم تخرج الاستعارة عن كونها أداة تزيين و زخرف لا سيما إذا وقعت موقعها و نزلت موضعها " (٢٤) و الاستعارة هي نوع من التعبير الدلالي الذي يقوم على المشابهة " إذ أنها تواجه طرف محل طرف آخر و يقوم مقامه لعلاقة اشتراك شبيه بتلك التي يقوم عليها التشبيه " (٢٥) فالاستعارة من أجمل الأساليب البلاغية و أروعها في التعبير عن وجدان الشاعر ، و ما يتلاعب بمشاعره من شوق و حب و لهفة إلى الشخص المقصود بهذه الصورة الاستعارية ، و لعل شاعرنا استطاع توظيف الاستعارة بشكلها الأمثل ليعبر عن حبه الذي تعجر الكلمات العادية عن وصفه فرسم صورة لذلك الحب و الشوق بقوله مرحباً بالنبي الكريم :

" املاً فؤادك بالمحبة واستق

إنا على ذكر الأوبة نلتقي

يا جنة الفردوس أحمد قادم فتزني لقدمه وتأنقي

فهو الذي ملأ الوجود لطافة

ببهاؤه وبوره المتدقق " (٢٦)

إن شوق الشاعر لا يجاريه شوق ، و حبه للنبي لا يعادله حب ، فالفؤاد يفيض محبة و لحظة اللقاء قد حانت ، فذكر النبي ﷺ يعلو فوق كل ذكر ، فيطير وجد الشاعر محللاً في الخيال ليرسم صورة براقية تتجلى فيها روعة الإحساس ، فيناجي الجنة قائلاً (يا جنة الفردوس أحمد قادم فتزني و تأنقي) فيوظف الشاعر في صورته الاستعارية أداة التشخيص جاعلاً الجنة فتاة جميلة تتأق و تترين فرحاً و ابتهاجاً بقدم النبي ﷺ ، فيجمع الشاعر في صورته عناصر التشخيص ، و يوظف الدلالة الزمانية ليرسم صورة يجتمع فيها الحسي و الذهني معاً ، فيرسم في ذهنه فيض المشاعر و الأحاسيس الصادقة ، أحاسيس الشوق و انتظار لحظة اللقاء ، لينقل بعدها إلى الكون الحسي للصورة فيرسم صورة الفتاة المتأنقة المبتهجة بقدم النبي ، و من النبي ؟ ! إنه ذلك الإنسان الذي أسبغ على الحياة الجمال و اللطافة ، إنه ذلك الإنسان الذي يتدفق النور من وجهه الطاهر ، فيكتف الشاعر من التعابير و التصاوير التي تعبر عن صفات النبي الكريم ، و ما منحه الله دون غيره من البشر ، فكانت الصورة الاستعارية أداة الشاعر لرسم صورة البهجة و البهجة و السرور بقدم خير الأنام . و ينتقل الشاعر بعدها ليرسم لنا صورة تعرفنا قدر النبي و مكانته التي حاول بعض الناس إنكارها و تجاهلها إلا أنهم و قعوا في سوء أعمالهم ، فيعرج الشاعر في مدائحه إلى ذكر معجزات النبي الكريم ﷺ التي ذكرت في القرآن ، فيقول :

" والسيرة العصماء تعرف قدره في همّة يطوي الفضاء ويرتقي

ياخارق أفق السما بإراقه

إذ أنها من قبله لم تُخرق

من تحت نعليه الروامض أعشبت والصخر لأن لطيفه بترق

يا دوحة الأشعار مدحك قاصر

فترتمي في مدحه واستغريقي " (٢٧)

لقد كانت حادثة الإسراء و المعراج دلالة واضحة على نبوة النبي ﷺ ، و قد نالت هذه المعجزة حظاً وافراً من الاهتمام في المدائح النبوية لما لها من أثرٍ نفسيّ عظيم في النفس الإنسانية المؤمنة و يحاول الشاعر أن يرسم صورة مبسطة لتلك الحادثة في شعره ، فيوظف الاستعارة الكنيّة في شعره كأداة يعبر من خلالها عن ما امتلكه النبي ﷺ من قدر و مكانة ، فالسدره هي الجنة ، و سدره المنتهى شجرة في الجنة ، فشخص السدره بصورة إنسانٍ يعرف النبي و مكانته ، مصوراً البراق و هي الدابة التي امتطها النبي في حادثة الإسراء و المعراج ، و يلجأ الشاعر بعد ذكر حادثة الإسراء و المعراج إلى التكتيف في التراكيب التي تظهر معجزات النبي ، فهذا الإنسان الذي خرق سماء لم يخرقها أحدٌ قبله من البشر يمتلك الكثير من القدر و العظمة و القدرات ، فالنار الملتهبة تحت قدميه تتقلب عشباً ، و الصخر القاسي يلين ، و الشاعر يستعين بالصورة الحسية المشاهدة بالعين لتكون شاهداً أقوى و أشد تأثيراً في وجدان المتلقي ، فاستعار العشب للنار المشتعلة و استعار اللين للصخر ، ليجعل ذهن المتلقي يحلق في سماء الإعجاب و الانبهار بعظمة نبي السدره العصماء تعرف مكانته ، و هذا التحفيز الوجداني الكبير الذي يعتمده الشاعر ما هو إلا انعكاس لوجدانه الصادق المحبّ المجنون بعشق خاتم الأنبياء محمد ﷺ لقد رسم الشاعر بالصورة الاستعارية وجداناً يعتمر بالحبّ و الإعجاب الصادقين لرسولٍ حمل رسالة السلام و المحبة للبشرية ، فالشوق للنبي كبيرٌ و الحب له كبيرٌ ، و معجزاته تشهد له كما شهدت سدره لا تجيد الكلام بذلك إلا أنها شهدت و تكلمت ، فالتشخيص في هذه الصورة أعطى الكلام بعداً وجدانياً و تأثيراً أكبر ، و حرّك ذهن المتلقي ليعمل ذهنه و تفكيره في خبايا الكلام ، ليجد نفسه أمام نبي من أعظم الأنبياء و أجلهم و أعلمهم .

الكناية

الكناية في اللغة " أن تتكلم بشيء غيره ، و تكني عن الأمر لغيره ، يُكنّى كناية تستتر من كن عنه " (٢٨)

و في الاصطلاح " أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، و لكن يجيء إلى معنى و هو تالية و ردفه في الوجود فيؤمن إليه و يجعله دليلاً و يجعله دليلاً عليه " (٢٩) و تلعب الكناية دوراً مهماً في إبراز المعنى و صقل التجربة الشعرية به و الشعورية للشاعر ، و قد جعل الشاعر عبد السلام المحمدي الكناية سبيلاً للتعبير عن حبه للنبي و تعلقه الكبير ، و بياناً لتأثيره الكبير في مسار البشري جمعاً ، فيقول الشاعر مستجداً بالنبي ، باحثاً عنه في أرجاء الأرض ، فهو شفيح كل محتاج مؤمنٍ في الحياة ، فيقول الشاعر :

" من أي زاوية أخط مقالي

والوجد يعصف يا أخي بحالي

فرحلت عن نفسي أقدس شأنه

وبيته في أيامه ترحالي

وجلودنا بعد الجفاف تشققت

ولقد سئنا سطوة الأقفال

فلكم بحثت عن النبي وصحبه

ولكم نشرت صحائفنا للآل

قد كنت أنظر للسحاب في السما

شوقاً الى ينبوعها الهطال شوق

ألمي بطه لايزال وإنني

أبقى بطه عاقدا آمالي " (٣٠)

سعى الشاعر في أبياته إلى توظيف الصورة الكنائية ليعبر عن حاجته الشديدة لشفاعة النبي الكريم ، فهو ملاذٌ يلوذ به المسلمون ، و ملجأٌ يلجؤون إليه طمعاً في الشفاعة بإذن الله ، فالنبي الكريم سبيل المؤمنين إلى الله سبحانه و تعالى يتقربون منه بمدح نبيه و أشرف خلقه ، راجين نوال المغفرة و حسن الثواب ، و انتظار الفرج بشفاعته ، و الشاعر في هذه الأبيات يوظف الكناية ليعبر عن الضيق الشديد الذي حلّ بالعباد (جلودنا بعد الجفاف تشققت) فانقطاع المطر قد أضرّ الناس و أصابهم البلاء ، فكانت الكناية عن شدة الضيق (سئنا سطوة الأقفال) و هنا نجد أنّ النبي ﷺ هو الطريق و السبيل إلى مرضاة الله و طلب شفاعته (ألمي بطه لا يزال) و هذا كناية عن شدة الإيمان بالنبي و شفاعته لكل مؤمنٍ ، هذا النبي الذي قال الله عنه في كتابه ﴿ و ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ (٣١) فكانت الصورة الكنائية تعبيراً عن الإيمان

الكبير بشفاعة النبي ، تعبيراً عن مكانة نبيّ وصفه الله في كتابه بأنّه رسولٌ أرسل رحمة للناس ، فعلى الناس أن يسلكوا سبيله و طريقه فهو المنجاة لكلّ مؤمنٍ في الحياة . و لعلّ من أبرز الآيات التي اعتمدها الشاعر في التعبير عن شوقه الشديد للقاء سيد الأنبياء و خاتمهم ، و جنون الوجد له توظيف الصورة الكنائية ، فيقول في قصيدته هالة نور :

" يا هالة النور قوديني على عجلٍ أُلقي التحية في سيلٍ من الجُمَلِ
أُلقي التحيةَ والأشواق تجعلني
أسعى بنقصِ السجايا عند مُكتمِلِ
أمضي الى سيّد الكونين متّاداً أستثقل الخطو في شيءٍ من الخجل
قد جنّت يا سيّد الكونين والتهبت
بيّ المواجهيدُ للّقاء ولم أزلِ
نورُ الإله تجلّى في محمّدنا فيا شفيعي بذاك اليوم يا أملي
يا خارق السبع تطويهنّ مفتخرأ
أمام أهلِ التقى في محفل الرُسلِ
كفّوا الملامة عن صبّ يدغده نوح الحمام في الأشجار والطلل
روحي إلى تربة المختار أرسلها لقاء
عبر المسافات في شيءٍ من القبل
صلني ببابك وارحم من به شغفٌ أمسى بحبّكم كالشاردِ الثملِ
أتى من الله نورٌ نستضيء به
اليوم مولده طوبى لمُحتفلٍ " (٣٢)

يحتفل الشاعر في قصيدته بمولد سيد الخلق ممجداً ذكراه ، و ينقل لا الشاعر فرحة الخلائق و الأرض و السماء بمولده ، لما للنبيّ من مكانة عظيمة في القلوب ، فمولده كان بشرى للخلق جميعاً ، فقد بعثه الله هدى و رحمة للعالمين ، و سعى الشاعر للإضاءة على ذكرى مولد النبي تعبيراً عن حبه الكبير له ، و شوقه للقاءه ، فكانت الصورة الكنائية أدواته في التعبير عن فيض المشاعر في وجدانه ، و نرى الشاعر يسعى إلى التكتيف في المعاني و العبارات التي هي كناية عن الشوق و انتظار اللقاء (الأشواق تجعلني ، أمضي إلى سيد الكونين ، التهبت المواجه) و وظّف الشاعر في صورته الكنائية حقلاً معجمياً يبرز شدّة الشوق للقاء النبيّ في يوم ذكرى مولده (نور ، نستضيء به ، طوبى ، صبّ ، روعي) فكان هذا الحقل المعجمي يحمل دلالة واضحة تعبّر عن تأثر الشاعر الكبير بالنبيّ و مكانته في وجدانه . لقد استطاع الشاعر توظيف الصورة الكنائية بطريقة تعبّر عن مكنوناته الشعورية ، و لهيب الوجدان في داخله تجاه إنسانٍ حمل الخير للإنسانية ، فطوبى لكلّ مؤمنٍ مشتاقٍ للنبيّ ﷺ

الصورة الحسية

الصورة السمعية

عند ذكر السمع و الإنصات يخطر في أذهاننا الإيقاع الموسيقي و النغمات التي تحدثها الأبيات الشعرية ، و لذلك فإنّ العبارات الموسيقية من الأسس التي تقوم عليها الصورة الشعرية و لها دورٌ في التصوير الأدبيّ ، و العبارة الموسيقية يكتمل بها تأثير الصورة في الوجدان بما تحدثه من روعة الإيقاع و الجرس إلى جانب ما يحدثه التخيل في النفس ، فيقول الشاعر

" هتف الفؤاد بذكره يتبتّل
روحٌ تطيرُ الى السماء وتنزلُ
هتف الفؤاد وصار يرفع رايةً
لما دنا منه البهيّ الأجمَلُ
ويهيم إن نُطقتْ حروفُ حبيبه

ويديه في نبض الحروف ويذهل
كلُّ الجهات إذا نظرتَ محمدًا
فلأي وجهٍ من جهاتك أرحلُ
قد أعلنتُ كتبُ السماء بأنَّهُ
مَنْ لآذٍ في أنوارِهِ لا يُخذلُ
وبفضله جاء المَسِيحُ مُبَشِّرًا
وبذكره أبدأً يطيبُ المحفلُ
أملِي بطه في الحياة وبعدها
تتبدلُ الدنيا ولا يتبدلُ " (٣٣)

و الشاعر عبد السلام المحمدي كثيراً ما لجأ إلى الصورة السمعية لتكون سبيلاً يعبر عما يعتمر في وجدانه من انفعالات و تردداتٍ ، فيرسم لنا لوحة فنية تعبّر عن الشوق في وجدانه، تعبّر عن حبه للنبي الكريم جاعلاً الصورة تتكلم و تتشد أجمل الأناشيد و الكلمات ليكون صدى الكلمات جرساً يرنّ في وجدان السامع للكلمات العذبة التي تحمل فيض المشاعر الذي لا ينضب و الصورة السمعية التي اعتمدها الشاعر هي صورة مركبة من مجموعة من الصور الجزئية التي تتكاتف مع بعضها لتعزف أنشودة محبة للنبي الكريم ، فالفؤاد يصدح بصوت عالٍ بذكر النبي ﷺ ، و الحروف تنهت في رياض المحبة و الوفاء للنبي ، و رنات القلوب تدقق عذوبة في محراب حبّ النبي و كتب السماء كلّها تتنادي أنّ من لآذ بحمي النبي فهو في أمان ، و يستعين الشاعر ليكمل رسم صورة سمعية أكثر تأثيراً في سمع المتلقي مذكراً بتبشير السيد المسيح بقدم خاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ ﴿ و مبشراً برسولٍ يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾ (٣٤) سعى الشاعر من خلال تكثيف الصور السمعية إلى رسم صورة تنبض بالحياة ، تنقل القارئ من عالم الخيال إلى عالم الواقع فيشعر و كأنه يعيش اللحظة بكل تفاصيلها ، فيغدو المعنى أكثر رسوخاً في ذهنه و أكثر جلاءً و وضوحاً ، فيعيش حبّ النبي و الشوق إليه و كأنه تجسّد في مسمعك و أمام عينيك ، و هنا تكمن براعة الشاعر و جودته الشعرية في قدرته على جعل الصورة تتكلم ، فيكون تأثيرها أشدّ في الوجدان ، فأنت تتكلم عن مدائح نبوية عن حبّ النبي ، فعليك أن تجعل النص الشعري يفيض بالمشاعر و الوجدانيات الصادقة التي تهزّ الضمير من الداخل ، و لعلّ الشاعر نجح في توظيف الصورة السمعية بكل مكوناتها من استعارة و كناية و تشبيه في خدمة المعنى ، ليأتي التشكيل الموسيقي للألفاظ و يمنح النص حيوية أكثر فيجتمع المعنى و صدى رنين الكلمات و يكونان بحراً يفيض وجداناً و حباً في حبّ النبي و الشوق إليه

الصورة البصرية

وفيها يتّجه الخيال للبحث عما يتماشى مع شعوره بالعين الباصرة " وهذا النوع من الصور يعتمد على خيال مبتكر قادر على التجسيم والتشخيص، وقادر على التأثير في المتلقي، فيجعله يحلق معه بخياله، فيتصوّر أنه يبصر تلك الصورة وكأنها أمامه " (٣٥) فحاسة البصر هي الرابط بين خيال الشاعر وواقعه، و أصل الوصف ما هو إلّا الكشف و الإظهار باستخدام البصر، ليشعر المتلقي أنّه رأى بعينه ما يحاول الشاعر إيصاله بوضوح. و الصورة البصرية عند شاعرنا لا تقل أهمية عن الصورة السمعية في ترسيخ حبّ النبي في الوجدان ، فيقول في وصف محاسن النبي :

" رقص الفؤاد بمهجة المتصابي
والكونُ أمطرَ من ربيع سحابي
لمحمدٍ قد جئتُ أكتبُ أحرفي
وأرى البشاشة في سطور كتابي
وتعترتُ لغة القصيدة وانحنّت
أدباً له وتلعثمتُ بجواب
يا سيّد ملاً الوجود بشاشةً
ومحبةً من طيبة الاطياب

للعالمين شمس وجهك أشرق

نحو العُلا لا تنطوي لغياب

نور تلاً في سماء قلوبنا

يا رحمة لم تحتجب بحجاب

يا دوحة للحب فاض عبيرها

نثي بعطرك للورى وانسابي

وتزيئي فاليوم مولد أحمد

وتبهرجي بربيعك الخلاب

من يدعي حبّ الاله بغيره

مثل الذي يسعى ضحاً لسراب

إن الصلاة على النبي فريضة

نرجو بها عفواً من التواب " (٣٦)

يكثف الشاعر في أبياته من الصور الاستعارية التي تعتمد التأثير البصري في المتلقي (رقص الفؤاد ، الكون أمطر ، تعثرت لغة القصيدة و انحنت) فهذه الاستعارات التي ساقها الشاعر في أبياته تعتمد التأثير البصري في المتلقي لتقلبه من الخيال إلى الواقع ، فيعيش حبّ النبي ﷺ وكأنه مائل أمام عينيه ، فيشتعل الوجدان شوقاً و محبة في ذكرى مولد النبي ، و يكمل الشاعر أبياته معتمداً الأسلوب الوصفي لسرد جمال النبي (شمس وجهك أشرق ، نور تلاً ، يا دوحة الحب) فيحاول الشاعر من خلال هذه الصور المكثفة في أبياته رسم صورة حسية بصرية تلهب الوجدان ، و تجذب المتلقي ليكون أسير محبة النبي الكريم الذي ألهب قلوب الإنسانية جمعاء بإنسانيته ، لقد نقل الشاعر للمتلقي بهذه الصورة البصرية حقائق تاريخية مضى عليها سنوات طوال إلا أنها تجسدت بفعل براعة الشاعر و حسن تصوير واقعاً أمام عيني المتلقي ، فكان ختام كلامه صلاة على النبي الكريم .

الخاتمة

أبدع الشاعر عبد السلام المحمدي في رسم أروع الصور البلاغية في مدائحه النبوية ، فكانت توظيفه للصورة البلاغية يعبر عن عاطفة صادقة ، يعطي إحياءات بالشعور الداخلي الذي يمتلكه الشاعر عند ذكر النبي الكريم ﷺ ، و لعل أهم النتائج التي استطعنا الوصول إليها بعد هذه الدراسة المتواضعة للمدائح النبوية تتلخص فب الآتي :

- ❖ تنوعت المضامين الشعرية في المدائح النبوية عند الشاعر إذ تطرقت إلى الصفات الخلقية التي تمتع بها النبي ، فضلاً عن ذلك سعى لإبراز مكانة النبي ﷺ ، و الحديث عن المعجزات التي قدّمها للبشرية كحادثة الإسراء و المعراج .
- ❖ كانت قصائد المديح النبوية عند الشاعر سبيلاً إلى طلب الشفاعة من الله تيمناً بذكر النبي فهو السبيل إلى الله ، و طريقه طريق الهداية و النجاة .
- ❖ كانت الصورة البلاغية أداة أساسية اعتمدها الشاعر في مدائحه النبوية لإبراز محاسن النبي ﷺ الخلقية و الخلقية ، و إبراز معجزاته و مكانته في الإنسانية التي خصّه الله بها .
- ❖ استطاع الشاعر من خلال توظيف الصورة البلاغية و آليات التجسيد و التشخيص و الصورة الحسية و البصرية إحداث تأثير شعوري منقطع النظير في وجدان المتلقي .
- ❖ نقلت الصورة البلاغية التي وظّفها الشاعر في مدائحه النبوية المتلقي من عالم الخيال ليعيش حبّ النبي عشقه ، و الشوق إليه و كأنه حاضر أمامه .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. البصير ، كامل حسن ، بناء الصورة الفنية في البيان العربي ، مطبعة المجمع العلمي في العراق ، العراق ، ١٩٨٧ .
٢. الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، البيان و التبين ، تح : عبد السلام هارون ، المكتبة التجارية ، مصر ١٩٦٨ .

٣. الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، الحيوان ، تح : عبد السلام هارون ، ط١، مطبعة البابلي الحلبي ، القاهرة
٤. الجوهري ، أبو نصر إسماعيل ، الصحاح ، تح : أحمد عبد الغفور ، ط٤، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠
٥. دي لويس ، سيسل ، الصورة الشعرية ، ترجمة : أحمد نصيف الجنابي ، دار الرشيد ، العراق ، ١٩٨٢
٦. الرازي ، أحمد بن فارس ، مقاييس اللغة ، تح : عبد السلام هارون ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٩
٧. السكاكي ، يوسف بن أبي بكر ، مفتاح العلوم ، ط١ ، المطبعة الأدبية ، القاهرة ، د. ت
٨. سنداوي ، خالد ، الصورة الشعرية عند فدوى طوقان ، ط١، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٩٣
٩. شريم ، جوزيف ، دليل الدراسات الأسلوبية ، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ، ١٩٨٤
١٠. العسكري ، أبي هلال ، الصناعتين ، تح : علي البجاوي ، ط١، مطبعة البابلي الحلبي ، القاهرة ، ١٦٥٢ .
١١. عصفور ، جابر ، الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي ، ط٤ ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ١٩٩٢ .
١٢. القرطاجني ، حازم ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء ، تح : محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، ١٩٦٦
١٣. القيرواني ، ابن رشيق ، العمدة ، في محاسن الشعر ، ط١، تح : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠١
١٤. المحمدي ، عبد السلام ، قلوب للبيع ، ط١، مطبعة الاتحاد العام للأدباء في العراق ، العراق ، ٢٠٢٢
١٥. المحمدي ، عبد السلام حسين ، مواويل العاشقين ، ط١ ، المطبعة الغربية ، العراق ، ٢٠١٣
١٦. ناظم ، حسن ، مفاهيم الشعرية ، دراسة مقارنة في الأصول و المنهج و المفاهيم ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ١٩٩٤
١٧. اليافي ، نعيم اليافي ، تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث ، ط١، صفحات للنشر ، دمشق ، ٢٠٠٨ .

الهوامش

- (١) ابن منظور ، محمد بن مكرم ابن منظور ، لسان العرب ، تصحيح: محمد الصادق ، ط ٣، دار إحياء التراث، بيروت ١٩٩٩ . ٢٠/٦ ، مادة (ص . و . ر)
- (٢) الرازي ، أحمد بن فارس ، مقاييس اللغة ، تح : عبد السلام هارون ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٩ . ٣ / ٣٢٠ . مادة (ص و ر)
- (٣) الجوهري ، أبو نصر إسماعيل ، الصحاح ، تح : أحمد عبد الغفور ، ط٤، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠ . ٧١٦/٢ . مادة (ص و ر)
- (٤) الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، الحيوان ، تح : عبد السلام هارون ، ط١، مطبعة البابلي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٣٨ . ١٣٢/٢
- (٥) الجرجاني ، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، تح : محمد عبده ، د. ط ، مكتبة القاهرة ، القاهرة ، ١٩٦١ . ص ٣٥٥
- (٦) القرطاجني ، حازم ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء ، تح : محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، ١٩٦٦ . ص ١٢٩
- (٧) سنداوي ، خالد ، الصورة الشعرية عند فدوى طوقان ، ط١، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٩٣ . ص ٣٧
- (٨) دي لويس ، سيسل ، الصورة الشعرية ، ترجمة : أحمد نصيف الجنابي ، دار الرشيد ، العراق ، ١٩٨٢ . ص ٢٣
- (٩) ناظم ، حسن ، مفاهيم الشعرية ، دراسة مقارنة في الأصول و المنهج و المفاهيم ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ١٩٩٤ . ص ٨٠
- (١٠) شريم ، جوزيف ، دليل الدراسات الأسلوبية ، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ، ١٩٨٤ . ص ٦٦
- (١١) اليافي ، نعيم اليافي ، تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث ، ط١، صفحات للنشر ، دمشق ، ٢٠٠٨ . ص ٨٣
- (١٢) عصفور ، جابر ، الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي ، ط٤ ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ١٩٩٢ . ص ٣٢٨
- (١٣) الرازي ، أحمد بن فارس ، مقاييس اللغة ، ١ / ١١٠ . مادة (ب ل غ)
- (١٤) الجوهري ، أبو نصر إسماعيل ، الصحاح ، ١ / ١٤٠ . مادة (ب ل غ)
- (١٥) ابن منظور ، محمد بن مكرم ، لسان العرب ، ١ / ١٨٠ . مادة (ب ل غ)
- (١٦) الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، البيان و التبين ، تح : عبد السلام هارون ، المكتبة التجارية ، مصر ١٩٦٨ . ١ / ١٠٧
- (١٧) المرجع نفسه ، ١ / ١٠٨

- (١٨) العسكري ، أبي هلال ، الصناعتين ، تح : علي البجاوي ، ط١، مطبعة البابلي الحلبي ، القاهرة ، ١٦٥٢. ص ٥٢
- (١٩) السكاكي ، يوسف بن أبي بكر ، مفتاح العلوم ، ط١ ، المطبعة الأدبية ، القاهرة ، د. ت . ص ١١٠
- (٢٠) القيرواني ، ابن رشيقي ، العمدة ، في محاسن الشعر ، ط١، ، تح : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠١ ، ص ٤٠
- (٢١) المحمدي ، عبد السلام حسين ، مواويل العاشقين ، ط١ ، المطبعة الغربية ، العراق ، ٢٠١٣. ص ١١
- (٢٢) المحمدي ، عبد السلام حسين ، مواويل العاشقين ، ص ٣١
- (٢٣) المحمدي ، عبد السلام حسين ، مواويل العاشقين . ص ٣٢
- (٢٤) القيرواني ، ابن رشيقي ، العمدة ، في محاسن الشعر ، ط١، ، تح : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠١ ، ص ٢٣٩
- (٢٥) عصفور ، جابر ، الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب ، ص ٢٠١
- (٢٦) المحمدي ، عبد السلام حسين ، مواويل العاشقين . ص ١١
- (٢٧) المحمدي ، عبد السلام حسين ، مواويل العاشقين . ص ١٢
- (٢٨) .ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٥ باب ص ٣٩٤٤ ، (ك ن ي
- (٢٩) . الجرجاني ، عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص ٤٠
- (٣٠) المحمدي ، عبد السلام حسين ، مواويل العاشقين . ص ٣٧
- (٣١) الأنبياء / ١٠٧
- (٣٢) المحمدي ، عبد السلام حسين ، مواويل العاشقين . ص ٤٦
- (٣٣) المحمدي ، عبد السلام ، قلوب للبيع ، ط١، مطبعة الاتحاد العام للأدباء في العراق ، العراق ، ٢٠٢٢. ص ٤٧
- (٣٤) الصف / ٦
- (٣٥) البصير ، كامل حسن ، بناء الصورة الفنية في البيان العربي ، مطبعة المجمع العلمي في العراق ، العراق ، ١٩٨٧. ص ١٢٤
- (٣٦) المحمدي ، عبد السلام ، قلوب للبيع ، ص ٤٥